

نماذج المقاربة بالكفاءات الترجمية

نصر الدين خليل / نصر الله بن شرقي
جامعة وهران 1 / جامعة بشار

ليست المقاربة بالكفاءات تراكما للدروس، كما هو الحال في المقاربات التي تستند على المحتوى، بل هي تنظيم متكامل واضح التفاصيل. إن تعليمية الترجمة بإفادتها من المقاربة بالكفاءات لن تزداد إلا غنى، فتفاعل المترجم المتعلم مع مادة دراسته ومحيطه واختياره لهذه المادة بناء على معايير نفعية وتداولية واعتماده على سيرورة تقديمية مضبوطة ومتواصلة، كلها تفاصيل تجعله يخرج في نهاية تكوينه برصيد خبراتي يسمح له بدخول سوق العمل بترسانة معرفية معتبرة.

أولى النماذج المقترحة في حقل التصورات التي تناولت كفاءة الترجمة هي النماذج اللسانية، وهذا أمر بديهي، كون اللسانيات سيطرت على الأفق البحثي لعلوم الترجمة منذ ميلاد هذه العلوم، فكان من الطبيعي أن تدور في فلكها كل الأبحاث المستجدة.

قد تكمن الصعوبة في إيجاد تعريف دقيق للكفاءة في عدم الاتفاق على المكونات التي تُدرج في حيز هذه الكفاءة، أي بالنظر إلى التعريف العام للكفاءة، الموارد التي على المترجم تعبئتها قصد بناء كفاءة ترجمة معينة.

وبما أن تعريف الشيء فرع من تصوره، فإن التعريفات المتعددة والمختلفة لكفاءة الترجمة تضع الباحث أمام تصورات كثيرة كلها ترمي الإشارة إلى الشيء نفسه. إذ نجد "أمبارو هورتادو ألبير" Mariana Amparo Hurtado Albir و"ماريانا أوروثكو" Orozco تعددان التسميات المختلفة التي جاءت في أبحاث منظري الترجمة:

- كفاءة النقل Transfer competence
- الكفاءة الترجمية Translational competence
- الأداء الترجمي Translational performance

- قدرة الترجمة Translation ability
- مهارة الترجمة Translation skill، وغيرها من المسميات.

وتفضل الباحثتان "كفاءة الترجمة" وسط هذا الزخم من المسميات، لقدم استعمال هذه التسمية في حقول بحثية أخرى لها علاقة وطيدة بالترجمة، من مثل اللسانيات التطبيقية. وعليه، فلا حاجة إلى إبداع جديد بما أن الجمع بين "الترجمة" و"الكفاءة" يخدم الفكرة التي يملكها الجميع عن التصور المقصود بالدراسة.

تعريفات كفاءة الترجمة:

يعرّف روجر بيل Roger T. Bell كفاءة الترجمة على أنها المعرفة والمهارات التي على المترجم اكتسابها قصد انجاز ترجمة ما. أما أمبارو هورتادو ألبير فهي عندها القدرة على معرفة كيفية الترجمة. وطبعاً، نحن إذ نقف في صعيد المقاربة بالكفاءات لا يمكن أن نتبنى الخلط بين لفظتي القدرة والكفاءة.

من جهته يرى فولفرام فيلس Wolfram Wilss أن كفاءة الترجمة تستدعي كفاءة لغوية ببنية عليا تقوم على معرفة واسعة للغتين المصدر والمستهدفة، بما في ذلك البعد التداولي للنص، كما تشتمل على القدرة المكتملة بين الكفاءة في هاته اللغة أو تلك على مستويات عليا.

أما مجموعة باكت Groupe PACTE، وهو فريق من الباحثين بجامعة "برشلونة" بإسبانيا، العاكفين على أحدث الأبحاث في مجال كفاءة الترجمة، فيعرفونها على أنها النظام التحتي للمعارف والمهارات المطلوبة للاضطلاع بفعل الترجمة.

تحين هذه الكفاءة بطرائق مختلفة في وضعيات مختلفة، وقد استعير هذا التصور من فكرة الكفاءة اللسانية، وأصبح يمتلك أهمية متزايدة في حقل علم الترجمة مع استبدال الإطار النظري المعرفي بالإطار النظري السلوكي.

يبدو أن هذا التعريف الأخير هو الأقرب إلى الأفق الذي نتطلع إليه، فهو يقرر أن الكفاءة تحين ضمن وضعيات معينة، وهذا إبراز لافت لأهمية الوضعية في اكتساب الكفاءة، وإن كان تعريف "بيل" أيضا يجعل الكفاءة ذات تصور واسع يشمل معارف ومهارات، ولم يحصره في معارف عملية كما هو الحال مع "هورتادو ألبير". أما "فيلس" فيبدو مشدودا إلى الفضاء اللغوي.

نماذج كفاءة الترجمة: النماذج الثنائية:

هذه أولى النماذج المقترحة لتصور كفاءة الترجمة، وهي بالأساس ثنائية أو كما يطلق عليها أنثوني بيم Anthony pym : "نماذج 1+1"، إذ يعتبر الكفاءة ضمن تصور يقوم على الجمع بين لغتين، مما يفرض على المترجم امتلاك كفاءتين: كفاءة تحليل النصوص في اللغة المصدر إضافة إلى ما يرتبط بها من كفاءة لإنتاج النصوص في اللغة المستهدفة.

تجد هذه الثنائية تبريرا لها في المسلمة التي ارتكزت عليها اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات الرامية بأن المترجمين هم أشخاص يمتلكون كفاءة تتوزع على لغتين اثنتين، تستوجب مهمتهم بوضوح، لا ليس فيه، جمع الكفاءتين معا. لقد سيطر هذا النموذج الثنائي على أذهان أوائل المنظرين في حقل الترجمة.

يلج الفرنسي "ميشال بالار" Michel Ballard المتخصص في الثنائية " فرنسية / إنجليزية"، هو الآخر، على أهمية النموذج الثنائي معتبرا أن جوهر تدريس كفاءة الترجمة يكمن في استخدام لغتين في الوقت نفسه، أي الجمع بين الكفاءة في هذه اللغة مع الكفاءة في تلك، وإن اعتبر في إحدى كتاباته الحديثة كفاءة الترجمة على أنها متعددة (Plurielle). هذا ما يسمح لنا بإدراج تصوره في حيز النماذج متعددة المكونات التي ستأتي لاحقا، حيث يرى أن كفاءة الترجمة تستدعي كفاءة هرمينوطيقية Compétence Herméneutique و"كفاءات لسانية" Compétences Linguistiques، إضافة إلى

التحكم في قدرات الكتابة والتحرير وحب الإطلاع والحس النقدي. ومع ذلك، يبقى "ميشال بالار" خاضعا للمنهاج اللساني في طرحه ونقطة الارتكاز عنده هي اللسانيات التقابلية.

النماذج الثلاثية:

هي نماذج يصفها "جون فيان" بمحاولة حصر تصور كفاءة الترجمة على مهارة ذات ثلاثة مستويات: "التجريد اللغوي" (Déverbalisation) و"النقل" (Transfert) و"إعادة الصياغة اللغوية" (Reverbalisation).

قد يبدو غريبا اعتبار "جون فيان" الكفاءات المرتكزة على هذه السيرورة ملتصقة بشدة بالمنهاج اللساني، وهي السيرورة المنبثقة عن "مدرسة بارييس" التأويلية التي طالما هتف روادها بثورتهم على الهيمنة اللسانية في حقل التنظير الترجمي.

اللانموذج:

اختار بعض منظري الترجمة ببساطة طرح فكرة نموذج كفاءة الترجمة جانبا وعدم الخوض في هذا المفهوم. ومن هؤلاء "فيلس" في رأيه الثاني المستند باللسانيات النفسية حيث كانت المقاربة المعرفية (Approche cognitive) قد طورت مفهومي "المعرفة التقريرية" و"المعرفة الإجرائية"، وبذلك اقترح "فيلس" التخلي عن مفهوم كفاءة الترجمة في سبيل مصطلح بديل هو "المهارة" (Habileté). يرجع "بيم" هذا الاختيار إلى محاولة منظري الترجمة التخلص من تبعية "اللسانيات التشومسكية" التي أقحمتم في نماذج تدعي وجود كفاءة متضمنة في الأداء، أو ما يسمى بالتعبير السوسوري "نظاما" داخل "الكلام".

النماذج متعددة المكونات:

أما النموذج المفضل في نظر "بيل" فهو نموذج "الكفاءة التواصلية" (Compétence communicative). وهو نموذج

يرفض الثنائية "كفاءة / أداء" جملة وتفصيلا ويعيد رسم الهدف المنشود الذي بات هو تحديد الكفاءة التواصلية متعددة المكونات. يفترض في الكفاءة التواصلية متعددة المكونات أن تشمل على أربعة حقول معرفية على أقل تقدير:

1- الكفاءة القواعدية (Compétence grammaticale)

2- الكفاءة اللسانية الاجتماعية (Compétence sociolinguistique)

3- الكفاءة الخطابية (Compétence discursive)

4- الكفاءة الإستراتيجية (Compétence stratégique)

نموذج لساني آخر اعتمد أعمال "هاليدي" أرضية انطلاق له اقترحه "باسل حاتم" (Basil Hatim) و"آين ميسون" (Ian Mason)، يبرره حرص الباحثين على تحديد معالم فصل واضحة بين تقويم نوعية الترجمة وتقويم أداء المترجم.

يرى "حاتم" و"ميسون" القدرة على التحكم في خصوصيات المهمة وتصور المتلقين (Audience design) مكونا هاما في بناء مهارة المترجم. ونشير هنا إلى استعمال الباحثين للفظة القدرة أكثر من استعمالهما لفظة الكفاءة، ولا ريب أنهما يرميان إلى المفهوم نفسه. وبما أن هذه القدرة قابلة للتلقين، فهي حتما قابلة للاختبار والتقويم. يهدف "حاتم" و"ميسون" من وراء وضع نموذج للكفاءة إلى إيجاد مكان للقدرة المذكورة ضمن مجال المهارات المطلوبة من المترجم، والوصول إلى "تصنيف عملي" (Taxonomie opérationnelle) لقدرات المترجم لأجل التقويم.

يحدد "جون فيان"، بالاعتماد على نموذج "نورد"، العناصر التي تقيم صلب كفاءة الترجمة، وهي كالآتي:

- العنصر الأول: استتطاق المطالب بعمل الترجمة بأسئلة من مثل: لأي فئة من المتلقين يوجه العمل؟ وبأي شكل؟ وضمن أي سياق يتم استخدام هذا العمل؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المفصلية.

- العنصر الثاني: قدرة المترجم على إخبار المطالب بعمل الترجمة عن ما إذا كان باستطاعته إنتاج الترجمة أولاً، حسب ما تم الوقوف عليه في إطار الوضعية المحددة.
من جهته يسرد "جون دوليل" (Jean Delisle) إجماعاً شبه أكيد حول المكونات التي جاءت في نموذج "رودا روبرت".
هذا النموذج الذي يحدد كفاءة الترجمة في خمسة مكونات:
- الكفاءة اللسانية: وهي القدرة على فهم اللغة المصدر والتعبير باللغة المستهدفة.

- الكفاءة الترجمية: وهي القدرة على استيعاب المعنى في النص وإعادة التعبير عنه دونما تشويه في اللغة المستهدفة مع تفادي التداخلات.
- الكفاءة المنهجية: وهي القدرة على التوثيق حول موضوع معين واستيعاب المصطلحات التابعة لميدانه المعرفي.
- الكفاءة المبحئية: وهي القدرة على ترجمة النصوص في بعض من المباحث القاعدية، مثل الاقتصاد والمعلوماتية والقانون.
- الكفاءة التقنية: وهي القدرة على استخدام تقنيات متنوعة تساعد على الترجمة، مثل معالجات النصوص وبنوك المصطلحات وآلات التسجيل وغيرها.

يقسم نموذج "هورتادو ألبير" (Hurtado Albir) كفاءة الترجمة إلى:

- 1- الكفاءة اللسانية.
- 2- الكفاءة غير اللسانية.
- 3- الكفاءة النصية.
- 4- المهارات المهنية العامة.
- 5- كفاءة النقل.
- 6- الكفاءة الاستراتيجية.
- 7- الكفاءة النفسية الفسيولوجي.

يلحق نموذج "بريساس" (Presas) بالكفاءة المكونات التالية:

- 1- كفاءة تلقي النص المصدر.
 - 2- كفاءة إنتاج مسودة للنص المستهدف.
 - 3- كفاءة إنتاج نص مستهدف نهائي.
 - 4- كفاءة استخدام القواميس.
 - 5- كفاءة التوثيق.
 - 6- الكفاءة في المعارف المتعلقة بميدان الاختصاص.
 - 7- كفاءة تحليل التعليمات الصادرة عن المطالب بالعمل أو غيره.
 - 8- كفاءة استخدام الوسائل التكنولوجية.
- تشكل الكفاءتان الثانية والثالثة العناصر الأساسية لكفاءة الترجمة. أما الكفاءات من الرابعة إلى غاية الثامنة فهي العناصر المشكلة للكفاءات الفرعية.

يتشكل نموذج "كاوتس" (Kautz) من المكونات التالية:

- 1- معرفة اللغتين.
- 2- معرفة العالم وميدان الاختصاص.
- 3- الكفاءة الترجمة، وهي تشتمل على:
 - مهارات في تحليل تعليمات الزبون و النص المصدر.
 - استراتيجيات الترجمة.
 - تصميم الشكل الخارجي للنص المستهدف.
 - التوثيق.
 - المصطلحات.
 - معرفة الممارسة المهنية للترجمة.

لقد وضعت "مجموعة باكت" نموذجها ضمن مشروع أوسع يدور حول محاور ثلاثة:

- 1- الكفاءة الترجمة.
- 2- اكتساب الكفاءة الترجمة.

3- اقتراحات الأساتذة تخص معايير تقويم الترجمة.

مكونات كفاءة الترجمة:

- 1- الكفاءة التواصلية في اللغتين.
- 2- الكفاءة غير اللسانية.
- 3- الكفاءة الأدائية والمهنية.
- 4- الكفاءة النفسية الفسيولوجية.
- 5- كفاءة النقل.
- 6- الكفاءة الإستراتيجية.

لعل نموذج "مجموعة باكت" قد يغنينا عن وضع خلاصة للنماذج متعددة المكونات، فهو قد جمع كل ما جاءت به هذه النماذج من حيث أنه فصل في مكونات كفاءة الترجمة بالاعتماد خصوصا على "المقاربة المعرفية" (Approche cognitive) التي اقتحمت علم الترجمة وباتت جزءا لا يتجزأ منه. أحدث البحث المعتمد على المقاربة المعرفية ثورة في حقلي التربوية والتعليمية حيث أدى ذلك إلى ميلاد المقاربة بالكفاءات. فإن استثمار الاتجاه المعرفي في التنظير في ميدان كفاءة الترجمة قد يتيح أفقا جديدة، يلقي كل منها الضوء على جانب من جوانب كفاءة الترجمة.

تعتبر إشكالية طبيعة كفاءة الترجمة من الإشكاليات التي استشرفتها بحوث الترجمة أيما استشراف. تقرّ البحوث التي قامت بها "مجموعة باكت" والباحثون الآخرون استحالة أن تقصي معرفة معرفة أخرى، بل يفترض أن تتواجدا معا؛ أو في حال وضعية التعلم، عندما يكون المبتدئ في طريقه ليصبح خبيرا، أن تقضي المعرفة التقريرية إلى معرفة عملية. ولقد أوضح "دون كيرالي" (Don Kiraly) أنه في حقل الدراسات الاستبطانية المتناولة للترجمة تبرز الطبيعة "الآلية" (Automatic) و"غير الانعكاسية" (Non-réflexive) للمعرفة العملية للمترجم الخبير من خلال الضائقة التي يعيشها عند التعبير عن سيروراته الذهنية. مما دفع بالباحثين ، وفي مقدمتهم "مجموعة باكت"

إلى اعتبار كفاءة الترجمة "معرفة عملية" بالأساس تكون فيها التركيبية الإستراتيجية هي مدار الرحي.

ترى "مجموعة باكت" أنه إذا كانت كفاءة الترجمة تركيبيا من الكفاءات الجزئية المرتبطة فيما بينها، فإن اكتسابها يتم عبر "سيرورة دينامية" تتمثل في بناء المعارف الجديدة على أساس المعارف القديمة. انطلاقا من هذا، استنتج الباحثون أن تدرج المبتدئ إلى سُلّم الخبير ليس مسألة اكتساب لكفاءات جزئية لم يكن يمتلكها فحسب، بل هو أيضا مسألة إعادة بناء للكفاءات الجزئية الموجودة قصد جعلها في كفاءة النقل.

أضف إلى ذلك، أن اكتساب كفاءة الترجمة رهين بتنمية طالب الترجمة لكفاءاته التعليمية المتضمنة على استراتيجيات التعلم. تعرف هذه الاستراتيجيات على أنها نظام من المخططات والعمليات التي نستعملها قصد تعلم شيء ما يمكننا من امتلاك المعلومات أو تخزينها أو استرجاعها أو توظيفها.

حاولت الباحثتان "أوروثكو" و"هورتادو ألبير" إيجاد معايير لقياس مدى اكتساب كفاءة الترجمة حيث اختارتا ثلاثة مؤشرات، هي في الوقت نفسه متغيرات، تنقسم ثلاثة خصائص أساسية: أولى هذه الخصائص، هي أن المؤشرات الثلاثة تؤثر جميعها في سيرورة الترجمة برمتها وليس فقط في إحدى مراحلها الثلاث التي هي حسب الباحثتين: الفهم و التجريد اللغوي وإعادة الصياغة. ثاني الخصائص، هي كونها قابلة للملاحظة وبالتالي للقياس، مما يجعل هذه المؤشرات ملائمة للبحث المراد القيام به. أما آخر الخصائص، فيقر أن المؤشرات الثلاثة تمنح نظرة عن استراتيجيات الترجمة وهي المعطى الأكثر استعصاء على المشاهدة المباشرة. بيد أن الإستراتيجية، رغم كل ذلك، تبقى عنصرا مهما في نموذج كفاءة الترجمة.

ولكن ما هي هذه المؤشرات؟ استقر رأي الباحثين على المتغيرات التالية:

- 1- تصرف المترجم عند مواجهة معضلات الترجمة.
- 2- التصرف تجاه أخطاء الترجمة.
- 3- المفاهيم العامة الخاصة بالترجمة.

وظفت الباحثان كلا من المؤشرات الثلاثة مرتين : الأولى عند بداية التكوين، أي عندما يبدأ طلبة الترجمة أول سنة من مراحل التدرج في الجامعة، والثانية بعد ثمان أشهر من هذه البداية أي عند نهاية أول سنة من التكوين.

معضلات الترجمة:

لمعضلات الترجمة خصائص ثلاث تجعلها مؤشرا ناجعا لتطور اكتساب كفاءة الترجمة، هي :
- يمكن أن تظهر معضلة الترجمة في أي مرحلة من مراحل سيرورة الترجمة.

- تمتاز معضلة الترجمة بكونها قابلة للمشاهدة.
- يظهر المترجم حتما، عند حله لمعضلة ترجمية، قدرته على استخدام استراتيجيات الترجمة، وهي العنصر المهم من عناصر كفاءة الترجمة.

يتم استخدام هذه الأداة على مرحلتين، مرحلة ترجمة نص ما مرفق بوثيقة تحمل تعليمات الترجمة، حيث حددت الباحثتان أربعة أنواع من معضلات الترجمة: معضلات لسانية ومعضلات غير لسانية ومعضلات خاصة بالنقل ومعضلات تداولية. أما المرحلة الثانية، فتبدأ فور الانتهاء من ترجمة النص، حيث تطرح مجموعة من الأسئلة على المترجم تكون على شاكلة استجواب.

يشتغل المقوم بعد ذلك على النص المترجم والأسئلة على السواء لوضع درجة لسلوك المترجم حسب سلم ثلاثي:

- الدرجة "صفر": لم يتم تحديد المعضلة.
- الدرجة "1": حددت المعضلة إلا أنها لم تحل.
- الدرجة "2": تم حل المعضلة.

أخطاء الترجمة:

ينقسم استخدام هذه الأداة هو الآخر إلى مرحلتين، المرحلة الأولى وتترافق مع المرحلة الأولى لاستخدام أداة القياس الأولى (معضلات الترجمة)، والمرحلة الثانية التي يتم فيها تصحيح الترجمة كي يكشف عن عدد الأخطاء الموجودة في كل نوع منها.

أما الأنواع التي اعتمدتها الباحثتان لامتحانات الشهادة والنجاعة، فهي: "المعنى الخاطئ" وفيه تحمل مقاطع من الترجمة معان مختلفة عن تلك التي يحملها النص المصدر، و"انعدام المعنى" حيث لا يكون معنى لبعض من مقاطع الترجمة أي ليس بإمكان قارئ الترجمة أن يفهمها. كما أخذت الباحثتان بالاعتبار "الحلول الناجحة" حيث يحكم على مقاطع من الترجمة بأنها جيدة، إما لأنها تقدم حلاً أصيلاً وإبداعياً لأحدى المعضلات، يتلاءم مع وظيفة الترجمة، أو لأن هذا المقطع من الترجمة يقرأ وكأنه مقطع أصلي.

ولقد تركت الباحثتان الحرية لمن يستخدم هذه الأداة في اختيار أصناف أخرى غير تلك الثلاثة التي تم الاشتغال عليها. يمكن مثلاً أخذ عدد من المعاني الخاطئة التي يقع فيها الشخص، أو اختيار الأنواع المعجمية والتركيبية، إلى غير ذلك من الاختيارات.

مفاهيم الترجمة:

وضعت الباحثتان هذه الأداة على شكل أربعة عشرة عنصراً تنتمي إلى ثلاث مجموعات، هي: مجموعة الاختيار المتعدد ومجموعة الخطأ والصواب ومجموعات العناصر المفتوحة. والكل يشكل لائحة من الأسئلة المتعددة الأبعاد كونها تحمل عوامل عديدة مفيدة ضمن مفاهيم مجردة عن ماهية الترجمة.

إن هذه الأداة تحدد السيرورة الترجمة الكلية للطالب من حيث إنها تتعلق بأفكاره حول الترجمة. فالطالب يصبو هدفاً معيناً في كل ترجمة، وهي غاية تحدد حلوله لمعضلات الترجمة خلال سيرورة الترجمة بأسرها. وعليه، فإن الطالب عند مواجهته لمعضلة في النص المصدر يمكنه أن يتجاهلها أو يحاول حلها. فإذا أخذ قرر حلها فمرد ذلك إلى إرادته جعل قراء الترجمة يفهمونها أو يتلقون النص المستهدف

على نحو معين، ولن يكون هذا ممكناً إلا إذا كان الطالب يحمل في ذهنه مفهوماً معيناً عن الترجمة. وبالتالي، إن عدم وجود مفهوم ما عن الترجمة يعني عدم وجود هدف يسعى الطالب لبلوغه. وفي هذه الحالة، يكون سبب وجود أخطاء الترجمة والمعضلات غير المحلولة هو فقدان المعرفة لمفاهيم الترجمة العامة.

حصرت الباحثتان، في لائحة الأسئلة، عدداً من العوامل حول ماهية الترجمة، وهي مفاهيم حول الترجمة وعناصر تتدخل في الترجمة ومفاهيم حول معضلات الترجمة ووحدة الترجمة والتكافؤ في الترجمة ووظيفة الترجمة وكفاءة الترجمة وكفاءاتها الجزئية واستراتيجيات حل معضلات الفهم في اللغة الأجنبية وإعادة الصياغة في اللغة الأم.

خلصت الباحثتان، من خلال تطبيقاتهما للأدوات الثلاث على مجموعات من الطلبة، إلى استنتاج نموذج يكشف سيروية تلقي كفاءة الترجمة يشمل عدداً من المتغيرات المرتبطة فيما بينها ومتغيرات أخرى مستقلة وجمعا من الفرضيات.

مكتبة البحث:

- PACTE. « Acquiring Translation Competence: Hypotheses and Methodological Problems of a Research Project », in A. Beeby, D. Ensinger, M. Presas (dir.). *Investigating Translation*, Amsterdam / Philadelphia, John Benjamin, 2000, P.100.
- BALLARD, M. « La traductologie, science d'observation », in Ballard, M. (dir). *Qu'est-ce que la traductologie ?*, Arras, Artois Presses Université, 2006, PP. 187-192.
- PYM, A. « Redefining Translation Competence », *op.cit.* P.485.
- OROZCO, M. & A. HURTADO ALBIR, *op.cit.* PP.379-380.